

بذل النصائح بذكر بعض أسباب الاستمرار في العمل الصالح

وكانت خطبة جمعة في دار الحديث بدماج ردها الله

لأبي محمد عبد الحميد بن يحيى الزعكري

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) عباد الله يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ سُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، ولقد من الله عز وجل علينا في تعاقب الأيام والليالي وتعاقب الشهور حتى دخل هذا الشهر العظيم ، وكان الله عز وجل قد فرض علينا صيامه ، وشرع لنا قيامه ، فله الحمد والمنة قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ

عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٨٣-١٨٧﴾

ينبغي لنا أن نستمر على ما نحن فيه من الخير، فإن الناس يقبلون على الله عز وجل في هذا الشهر، المستقيم وغير المستقيم يقع منه الطاعات و القربات إلا من كان معرضاً إعراضاً كلياً، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدت الشياطين ((متفق عليه.

ومع ذلك إن ولى رمضان وذهب، فإن الله عز وجل قد امتن علينا وأمر وشرع بشعائر آخر ، وعبادات آخر ، فينبغي للمسلمين أن يُلَازِمُوا القربات والطاعات ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان إذا عمل عملاً أثبته ، وكان يحب الديمة من العمل ، وقالت عائشة رضي الله عنها : وكانوا آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملاً أثبته . والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : إن الله لا يمل حتى تملوا ، عليكم هدياً قاصداً . وأمر بالاستمرار على الخير ، وملازمة هذا الخير حتى ينقطع العمر ويأتي الأجل ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] ، هكذا يأمر الله عز وجل نبيه بالاستمرار على الخير حتى يأتي اليقين وهو الموت ، والإنسان ملازم للطاعات والقربات ، أما إذا انقطع فإنها الخسارة ، منهم من يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، ومنهم من يعمل بعمل

أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة حتى يدخلها، والأعمال بالخواتيم . والله عز وجل يقول: (فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) ويقول (وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ)، فالاستقامة مطلوبة وهي مداومة الأعمال الصالحة والاستمرار عليها حتى يقدم المرء على ربِّ كريم، عظيم، سبحانه وتعالى .

ولنا قدوة ومثل في أولئك النفر الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه هذا عبد الله بن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم، نعم الرجل عبد الله لو كان يُقيم الليل، فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا واستمر على هذه العبادة الجليلة، ما قال أقيم الليل في رمضان، فإذا ما خرج رمضان تركته، أو تهاونت أو فرطُ، وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: «أخبر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : أني أقول: والله لأصومنَّ النهارَ، ولأقومنَّ الليلَ ما عشتُ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « أنت الذي تقول ذلك ؟ » فقلت له : قد قلتُه، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال : « فإنك لا تستطيعُ ذلك، فصُمتُ وأفطرتُ، ونمتُ، وقمتُ، وصُمتُ من الشهرِ ثلاثةَ أيامٍ، فإنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها، وذلك مثلُ صيامِ الدهرِ »، قلتُ : إنِّي أطيقُ أفضلَ من ذلك، قال : « فصُمتُ يوماً وأفطرتُ يومينِ »، قلتُ : فإنِّي أطيقُ أفضلَ من ذلك، قال : « فصُمتُ يوماً وأفطرتُ يوماً، فذلك صيامِ داودَ عليه السلام، وهو أعدلُ الصيامِ » - وفي رواية : أفضلُ الصيامِ - قلتُ : فإنِّي أطيقُ

أفضل من ذلك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا أفضل من ذلك » .

زاد في رواية ، قال عبد الله بن عمرو ، لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أحب إلي من أهلي ومالي . وفي رواية أخرى : قال : قال لي رسول الله : « ألم أخبر أنك تصوم النهار ، وتقوم الليل ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « فلا تفعل ، صم وأفطر ، ونم وقم ، فإن لحسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزورك عليك حقاً ، وإن لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فإذا ذلك صيام الدهر » . فشددت فشدد علي ، قلت : يا رسول الله : إني أجد قوّة ، قال : « صم صيام نبي الله داود عليه السلام ، لا تزد عليه » . قلت : وما كان صيام داود ؟ قال : « نصف الدهر » . فكان عبد الله يقول بعد ما كبر : يا ليتني قبلت رخصة النبي - صلى الله عليه وسلم - . وفي أخرى قال : « ألم أخبر أنك تصوم الدهر ، وتقرأ القرآن كل ليلة ؟ » فقلت : بلى ، يا نبي الله ، ولم أرد بذلك إلا الخير ، وفيه قال : « فصم صوم داود ، فإنه كان أعبد الناس » - وفيه قال - : « واقرأ القرآن في كل شهر » ، قال : قلت : يا نبي الله ، إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فاقرأه في كل عشرين » ، قال : فقلت : يا نبي الله ، إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فاقرأه في عشر » ، قلت : يا نبي الله ، إني أطيق أفضل من ذلك ، قال : « فاقرأه في سبع » ، لا ترد على ذلك

« قال: فَشَدَّدْتُ فَشُدَّدَ عَلَيَّ، وقال لي النبي - صلى الله عليه وسلم - : إنك لا تدري كَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ » ، قال : فصرتُ إلى الذي قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فلما كبرتُ وِدِدْتُ أَنِي كُنْتُ قَبِلْتُ رُحْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - .

. فكان عبد الله بن عمرو بعد ذلك ملازم على هذه الطاعة التي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بها ، وحثه عليها حتى لقي الله عز وجل ، حتى أنه كان إذا افطر لمرضٍ أو شغلٍ أو غيره قضاها ذلك تلك الأيام التي كان يفطرها . وهذا أبو أمامه صدي بن عجلان رضي الله عنه جاء في المسند عن أبي أمامة قال أنشأ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ قَالَ فَسَلِّمْنَا وَغَنِّمْنَا قَالَ ثُمَّ أَنْشَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوًا ثَانِيًا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ قَالَ ثُمَّ أَنْشَأَ غَزْوًا ثَالِثًا فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَتَيْتُكَ مَرَّتَيْنِ قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ فَدَعَوْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَيُغَنِّمَنَا فَسَلِّمْنَا وَغَنِّمْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ قَالَ فَسَلِّمْنَا وَغَنِّمْنَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِعَمَلٍ قَالَ عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ قَالَ فَمَا رُئِيَ أَبُو أَمَامَةَ وَلَا امْرَأَتَهُ وَلَا خَادِمُهُ إِلَّا صِيَّامًا قَالَ فَكَانَ إِذَا رُئِيَ فِي دَارِهِمْ دُحَانٌ بِالنَّهَارِ قِيلَ اعْتَرَاهُمْ صَيْفٌ نَزَلَ بِهِمْ نَازِلٌ قَالَ فَلَبِثَ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ

أَمَرْتَنَا بِالصِّيَامِ فَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ بَارَكَ اللَّهُ لَنَا فِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمُرْنِي بِعَمَلٍ
آخَرَ قَالَ اعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ.

وهذا أبو عبد الله فعند أحمد عن أبي نصرَةَ قَالَ مَرِضَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ يُعَوِّدُونَهُ فَبَكَى فَقِيلَ لَهُ مَا يُبْكِيكَ
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَلَمْ يَقُلْ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُذْ مِنْ شَارِبِكَ ثُمَّ
أَقْرَهُ حَتَّى تَلْقَانِي قَالَ بَلَى وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبْضَ قَبْضَةٍ بِيَمِينِهِ وَقَالَ هَذِهِ هَذِهِ وَلَا أَبَالِي وَقَبْضَ قَبْضَةٍ أُخْرَى
بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا فَقَالَ هَذِهِ هَذِهِ وَلَا أَبَالِي فَلَا أَدْرِي فِي أَيِّ الْقَبْضَتَيْنِ أَنَا.

وهكذا جاء أن عائشة رضي الله عنها وأرضاها كانت إذا عملت عملاً أثبتته،
وداومت عليه.

وكم وكم نعدد من صفة الصالحين ومن آثار السلف ومن الأحاديث المروية في
هذا الباب، في أهمية الاستمرار على الخير حتى يلقي المرأربه وهو راضياً عنه .

فإن الإنسان بخير مادام ملازم للطاعات و القربات، وما زال مستمراً عليها
، ألا فلنكن على هذا الطريق، وهذا الحال فإننا والله نجد انشراحاً في الصدور
ورقة في القلوب وإقبالاً على عبادة الحي القيوم، لأن الطاعة تجر إلى الطاعة
، وتزيد في البر والخير

وإذا انقضى رمضان فإن الله عز وجل قد شرع لنا صيام ست من شوال على لسان محمداً صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر.

وشرع لنا القيام في جميع السنة، وليس في رمضان فقط، وإنما خص رمضان بمزيد اهتمام، من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه. ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه.

والنبي صلى الله عليه وسلم حين سُئل عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة قال قيام الليل.

وحدث على قيام الليل لاسيما في آخره، فقال صلى الله عليه وسلم: من طمع أن يقوم آخر الليل فليقم آخره، فإن صلاة آخر الليل مشهودة، وذلك أفضل. هكذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في مسلم عن جابر رضي الله عنه.

وشرع صيام المحرم، وشرع صيام يوم عرفة، وشرع صيام شعبان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر فعن أبي قتادة رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ كَيْفَ تَصُومُ فغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَلَمَّا رَأَى عُمُرُ -رضي الله عنه- غَضَبَهُ قَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا نَعُودُ

بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ. فَجَعَلَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ قَالَ « لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ - أَوْ قَالَ - لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ ». قَالَ كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا قَالَ « وَيُطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ ». قَالَ كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا قَالَ « ذَلِكَ صَوْمٌ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ».

قَالَ كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ قَالَ « وَدِدْتُ أَنِّي طَوَّعْتُ ذَلِكَ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - « ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ ».

. وجاء من حديث أَبِي عَقْرَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ الصَّوْمِ فَقَالَ صُمْ يَوْمًا مِنْ الشَّهْرِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي قَالَ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي يَوْمَيْنِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي زِدْنِي إِنِّي أَجِدُنِي قَوِيًّا فَقَالَ زِدْنِي زِدْنِي أَجِدُنِي قَوِيًّا فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيْدُنِي قَالَ صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ

وهكذا قراءة القرآن، والاستمرار على مدارسته، والاستمرار على حفظه وتلاوته، يكون في جميع العام. فعن ابن مسعودٍ يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا
أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: { الم } [البقرة: ١] حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ
حَرْفٌ " .

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مَثَلُ
الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ
الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ
الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ
كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ » متفق عليه .

منافق لكن مع قراءته للقرآن ؛ صار كالريحانة يشم منه ريح طيبة ، ويسمع منه
كلام طيب ، مع ما في قلبه من الخبث ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل
الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر .

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله عز وجل قد جعل أسباباً ومسببات لملازمة الطاعات والقربات، ومن أعظم هذه الأسباب، هو توفيق الله عز وجل للعبد، قال شعيب عليه السلام (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)، وقال الله عز وجل (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، وإذا كان هذا هو الحال فعلينا بالاستعانة بالواحد القهار سبحانه وتعالى، على أن يُعيننا على طاعته، وملازمة ذكره وشكره وحسن عبادته إناء الليل والنهار، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من أوجه أنه كان يدعُ ويقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. كما في حديث بن مسعود عند أحمد.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أراد أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وجاء من حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والله إني لأحبك فلا تدعن دبر كل صلاة اللهم أعني علي ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

فالإنسان بحاجة إلى عون الله (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ مَا زَكِيَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ) . نعم فإذا كان هذا هو الحال فعلينا أن نلجأ إلى الله في عوننا ، وتسديدينا ، وتوفيقنا فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ : « رَبِّ أَعْنِي ، وَلَا تُعِنِّ عَلَيَّ ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الْهُدَى لِي ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا ، لَكَ ذَاكِرًا ، لَكَ رَاهِبًا ، لَكَ مَطْوَعًا ، لَكَ مُحِبًّا ، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا ، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَثَبِّتْ حُجَّتِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَاهْدِ قَلْبِي ، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي » . أخرجه الترمذي .

وكان يقول : اللهم أصلح لي ديني ؛ الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي هي معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي هي معادي ، وأجعل الحياة زيادةً لي من كل خير ، وأجعل الموت خيرًا لي من كل شر .

فلا عون لنا ولا استطاعة لنا إلا بتوفيق الله وتسديده ، ولهذا قال الله عز وجل
(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ، أي نعبدك يا الله حال كوننا مستعينين بك ، لا حول
 ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة .

ومن هذه الأسباب الاحتساب للأجور العظيمة التي أخبر الله عز وجل عنها ،
 وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم **(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ
 مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا
 يَهْجَعُونَ (١٧) وَإِلَىٰ سَحَابِهِمْ يُسْتَغْفَرُونَ)** وقال **(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ
 الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
 مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** ، وقال **(تِلْكَمُ الْجَنَّةُ
 أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** ، فيحتسب الإنسان الأجر من الله عز وجل فإن
 ذلك من دواعي الاستمرار على العمل ، وعلى الخير .

وأيضاً من الأسباب التي تعين بعد توفيق الله عز وجل على ملازمة
 الطاعات والقربات ؛ فهو الأخذ بهدى النبي صلى الله عليه وسلم
 ، الذي أمر الله الابتداء به والإقتداء به ، **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
 (١) وَقَالَ (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) وقد تقدم أن
 النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب العمل الدائم ، وكان إذا عمل عملاً أثبته .**

وأيضاً الأخذ بهدي السلف رضوان الله عليهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) فالأخذ بسيرهم والأخذ بسلوكهم ؛ فيه تنشيطٌ وفيه إعانة بعد عون الله عز وجل على الطاعة والقربة ، فإننا إذا نظرنا إلى أعمالنا ؛ مع ما كان عليه السابقون الأولون علمنا إننا في تقصيرٍ عظيم إلا ما رحم ربي سبحانه وتعالى ، ومع ذلك كانوا على كثيرٍ من الطاعات والقربات ، وكانت الأعمال ربما أعمال نراها في أعيننا أدق من الشعر ، كانوا يعتبرونها من الموبقات ، كما جاء عن أنس رضي الله عنه في قوله في التابعين ، فنحن من باب أولى وقد بعد العهد وتركت كثيرٌ من السنن ، وفرط في كثيرٍ من الطاعات إلا ما رحم ربي سبحانه وتعالى .

ومن هذه الأمور أيضاً ؛ **مجالسة الصالحين** ، فإن مجالسة الصالح تُعين على الخير بعد عون الله عز وجل ، ولهذا ذكر أن في زمن عمر بن عبد العزيز كان الناس يتذكرون كم صليت البارحة وكم صمت من الشهر وكم قرأت من القرآن لأن الرجل كان صاحب عبادة ، وصاحب طاعة .

وفي زمن عبد الملك بن مروان كان الناس يتذكرون كم بنيت من البيت ، وكم لك من الدور .

وفي زمن هشام كان الناس يتذكرون كم تزوجت من النساء ؛ لأنه كان زمن زواج ، كان ذلك الأمير يسارع في هذا الباب ، وعمر بن عبد العزيز كان يسارعُ

في الطاعة ،ويدل علي ذلك أيضاً ما أخرجه البخار من حديث أبي جُحيفة - رضي الله عنه - قال : آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَدِّلَةً ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء ، فصنع له طعامًا ، فقال له : كُلْ ، فإني صائمٌ ، قال : ما أنا بأكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان من آخر الليل ، قال : سلمانُ : قُم الآن ، فصلِّيا ، فقال له سلمانُ : إِنَّ لربِّكَ عليك حقًا ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عليك حقًا ، ولأهلك عليك حقًا ، فأعطِ كلَّ ذي حقِّ حَقَّهُ ، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فذكر ذلك له ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « صَدَقَ سلمانُ » .

رحم الله امرئ قام من الليل ، فأيقظ امرأة فإن أبت وإلا نضح بوجهها الماء ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيَّقَطَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ .

تعاون على البر والتقوى ، (تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)

ومنها أيضاً علو الهمة فإن المؤمن لا يرضى بالدون، ونحن نعلم أن من عقيدة السلف؛ أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

والاستمرار على قيام الليل وصلاة الضحى وقراءة القران وملازمة الذكر والخير، وملازمة الطاعات والقربات يزيدُ بها الإيمان، وإذا فرطت في هذه الطاعات ينقص الإيمان بقدر التفريط

فعلى المرء أن يزداد من القربات والطاعات؛ حتى يزداد إيمانه ، وتعلو همته ويرفع قدره ، فإن السلف رضوان الله عليهم كانوا على هذا ، يتعاهدون إيمانهم ، ويتعاهدون برهم وخيرهم ، ومنها أيضاً عدم التشديد على النفس ، فإن كثيراً من الناس إذا أقبل أقبل إقبالا شديداً حتى ينقطع بعد ذلك، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: هلك المتنعون ، هلك المتنعون، هلك المتنعون . وهم المتشددون في غير موطن التشديد .

و النبي صلى الله عليه وسلم كما عن بُرَيْدَةَ، قَالَ: خَرَجْتُ يَوْمًا أَمْشِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَظَنَنْتُهُ يُرِيدُ حَاجَةً فَعَارَضْتُهُ، حَتَّى رَأَيْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَنْطَلَقْنَا نَمْشِي جَمِيعًا، فَإِذَا رَجُلٌ بَيْنَ أَيْدِينَا يُصَلِّيُ كَثِيرًا الرَّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " تَرَاهُ مُرَائِيًا ؟ "، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَأَرْسَلَ يَدِي، فَقَالَ: " عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ يَغْلِبُهُ "

فينقطع المرء ، فالاستمرار على الطاعات القليلة ، أهون من الأكثر في وقتٍ من الأوقات ثم الانقطاع بعد ذلك .

ومن هذه الأسباب التي يستعين بها المرء على طاعة الله عز وجل بعد عونه وتوفيقه الابتعاد عن الذنوب والمعاصي : فكم من حسارةٍ تتبع المرء بسبب ذنبٍ يقترفه ولم يتب منه ، يُحرم من قيام الليل ، يُحرم من صيام نهار ، يُحرم من العلم ، يُحرم من الخير ، وربما انقطع عن الخير جملةً وتفصيلاً ، بسبب الاستمرار على هذه الذنوب والمعاصي ، فنحن بحاجة إلى توبة إلى الله عز وجل (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : في المجلس الواحد ربي أغفر لي وتب عليا إنك أنت التواب أكثر من مئة مرة . ويقول يا أيها الناس استغفروا الله فإني استغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة .

وأسباب الاستمرار كثيرة، هذه أهمها، فعلينا عباد الله أن نستمر على الخير، رجالا ونساءً طلاب علم وعوام، إلى غير ذلك فكلنا مسلمون ، مطالبون بطاعة الله عز وجل ، والاستمرار على ذلك ، وعدم الانقطاع ، حتى نلقى الله عز وجل وهو راضياً عنا ، ونسأل الله أن يتقبل منا والحمد لله .

فرغها العبد الفقير الى الله

